مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

الدكتور عبد العزيز الدوري والدراسات الاستشراقية
هند يوسف مجيد
جامعة سامراء / كلية الآداب
ثورة خطاب علي
جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

التاريخ الاقتصادي
الاجتماعي المنهج
الاستشراقي عبد العزيز
الدوري

المستخلص باللغة العربية:

أولى الدوري التاريخ الاقتصادي الاجتماعي أهمية خاصة، وقدم دراسات متميزة في نقد المنهج الاستشراقي في النظرة إلى التاريخ العربي، فكان حضور المؤرخين الاجتماعيين في الغرب كثيفا، لكن غيابهم عن الساحة العربية كان مستهجنا للغاية. فكان الدوري في طليعة المؤرخين العرب الذين قرروا مواجهة مقولات الاستشراق الغربي بالمفاهيم العلمية ذات الحضور العالمي، وليس بمفاهيم تقليدية تحت ستار خادع من الأصالة، حيث أثبت قدرة متميزة على امتلاك المنهج العلمي في الدراسات التاريخية والاقتصادية.

١. المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد 0

يعد الدكتور عبد العزيز الدوري واحد من ابرز المفكرين العرب الذين درسوا التاريخ العربي الاسلامي واعادوا كتابته وعمل على ابراز معالم الحضارة العربية الاسلامية وماحققته من تقدم فهو يمثل مسيرة طويلة مع التاريخ والكتابة له كونه عامل مهم في توضيح الهوية وتحديد واقعها معتبرا اياها قضية اساسية بالنسبة للامة العربية وهو اول مؤرخ تناول التاريخ العربي الاسلامي من حيث كونه فكرة ومن حيث هو تاريخ اقتصادي ثم دراسته للتنظيمات هي محاولة للوقوف على شخصية الامة ثم دراسة النهج والذي تعاملت به الامة العربية عبر التاريخ مع الازمات التي واجهتها وشكل تحاورها مع الاخرين وقد اكد ذلك في كتابه مقدمة في تاريخ صدر الاسلام وكتابه دراسات في العصور العباسية المتأخرة محاولا فيهما ان يضع نظرية شاملة تتطلب الالتفات الى النواحي الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية كونها من واقع الحياة ففي بداية حياته العلمية نشر كتابين متكاملين عن تاريخ العراق في العصر العباسي والحقهما بثالث عن النظم الاسلامية وهو من الكتب المميزة اذا توضحت في تلك الفترة توجهاته العامة في تقدير اسهامات العرب في الحضارة الانسانية وهي مزيج بين قومية عربية معتدلة وكتابة خاصة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية 0

ان عمل الباحثين في التاريخ الاسلامي بحاجة الى دراسة نتاج المؤرخ والمفكر الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري نظرا لقيمتها العلمية ومكانتها الفكرية وتقديرا لجهوده المتميزة في كتابة التاريخ العربي الاسلامي ورفد الحركة الثقافية بكتب مرجعية معتمدة فضلا عن دوره المتميز في تأهيل عدد كبير من الدارسين والباحثين والمؤرخين والمدرسين في كل من العراق والاردن ولدوره في ارساء قواعد الفكر العربي

ودراسة التاريخ العربي الاسلامي في ازهى عصوره فضلا عن دوره الذي يمثل جانبا رئيسيا من جوانب النهضة الفكرية والثقافية في الحياة العربية ولأنه من اوائل المفكرين العرب المحدثين في هذا العصر الذين تجاوزوا بما قدموه من اسهام في الفكر والتاريخ حدود منطقتنا العربية الى ارجاء اخرى من العالم 0

كانت هناك عدة دراسات عن الدكتور الدوري منها البحوث العلمية ورالرسائل والاطاريح وقد ذكرناها في قائمة المراجع بنهاية البحث 0

واتبعنا في كتابة البحث المنهج الاستقرائي لكتب وبحوث الدوري مع تحليل عدة من المواضيع المطروحة في مؤلفاته 0

اما مشكلة البحث فكانت تتلخص بمؤلفات الدوري وبحوثه الكثيرة 0

٢. التحليل والمناقشة

المبحث الاول

نبذة مختصرة عن الدكتور عبد العزيز الدوري

ولد الدكتور عبدالعزيز الدوري في قضاء (الدور) التابع حاليا لمحافظة صلاح الدين عام 1919م ، التي منها أخذ لقبه ، وفيها تعلم في مدارس (الكتّاب) حيث حفظ القرآن الكريم ثم انتقل الى بغداد ودرس فيها وأكمل دراسته الثانوية، ثم حصل على بعثة علمية في المملكة المتحدة، فسافر إلى لندن ونال شهادة البكالوريوس من جامعتها 1940م ، واستمر في دراسته هناك وحصل على شهادة الدكتوراه عام 1942م0 ولما عاد إلى بغداد شغل مناصب عدة منها : عين مدرسا للتاريخ الاسلامي في دار المعلمين العالية (كلية التربية حاليا) وبقى فيها حتى تمت ترقيته إلى مرتبة أستاذ، وأصبح رئيسا لقسم التاريخ في جامعة بغداد 1943 – 1948 م وعميد كلية الآداب والعلوم 1948 – 1958 م (كسكين ، 2010 ، ص2)

اما المناصب التي كلف بها

أستاذ زائر لكلية الدراسات الشرقية، جامعة لندن 1955 – 1956 م

أستاذ زائر للجامعة الأمريكية، بيروت 1959 – 1960 م

رئيس لجمعيّة المؤلّفين والكتاب العراقيين سنة 1961م

رئيس جامعة بغداد 1963 – 1968 م

رئيس المجلس الأعلى للجامعات العراقية بغداد 1967 – 1968 م

أستاذ التاريخ الإسلامي الجامعة الأردنية سنة 1969 م (الجبوري ،2011، ص5-37)

لقد وضع الدوري عشرات الكتب والبحوث والتحقيقات في حقول التاريخ المختلفة ومن ثم اهتمامه بنقد المصادر وعدم الاعتماد على القراءة السردية للمراجع التاريخية بل النظرة النقدية والتحليلية في كل ما يقرأ (مظفر ، 2010 ، ص2)

اما اعماله، فقد اعيدت طباعتها مرات ومرات وقد تميزت جميعها بمنهجه الدقيق المميز، فهو يعالج أي قضية وأي إشكالية بدقة متناهية معتمدا في ذلك علي المعلومات التاريخية لا على وجهات النظر العادية ثم يبرع في تحليلها بشكل مركز، ومن ميزاته توثيقاته التي لا يكل ولا يمل منها حتى في أعماله الأخيرة (خليل ، 2013 ، 2014)

وقد شغل الدوري رئاسة جمعية الكتّاب والمؤلفين العراقيين 1961 – 1968 م وكان عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة وفي دمشق وعضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في عمان ، وعضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة (مؤسسة آل البيت) في عمّان ثم عضو في اللجنة الملكية الخاصة بجامعة آل البيت ، ثم عضو في مجلس امناء جامعة البنات بعمان ثم عضوا شرف في الجمعية الاسيوية الملكية ثم عضو جمعية المستشرقين الالمان (فاضل ، 2012 ، ص43)

ونال الدوري الكثير من التكريم والجوائز منها :

-دكتوراه فخرية من جامعة هالة الألمانية عام 1962 م

-جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1984 م

-جائزة المجمع العلمي العراقي

-وسام التربية الممتاز الأردن

-الجائزة التقديرية مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إسطنبول عام 1988 م

-جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، للثقافة العربية عام 2000 م

-وسام الاستقلال من الدرجة الأولى الأردن عام 2002 م

-تكريم الجمعية الفلسفية الاردنية في ندوة تكريمية

-جائزة الدراسات الانسانية والمستقبلية الدورة الثانية عشرة عام 2011 م (العلاف ، 2009 ، ص56)

وقد ألقيت في احتفال التكريم بجائزة المنظمة العربية للثقافة العربية الذي جرى في بيروت كلمات منها كلمة الدكتور خير الدين حسيب مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية قال فيها : ان الدوري (81) عاما هو نموذج رائع للعلم الملتزم الذي يخدم المبدأ ولا يستخدمه ، العلم الذي ينفع الناس فيمكث في الأرض لا العلم الذي يفيد صاحبه فيمكن أن يذهب جفاء " (الجميل ، 2010 ، العدد 4534)

كانت للدوري جهود متميزة في دراسة الفكر القومي وجذوره التاريخية وتأكيده على ابراز علاقات الشعب العربي بالامم والشعوب والثقافات الاسلامية

فضلا عن اهتمامه بدراسة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الحضارة العربية الاسلامية فضلا عن انه كان إنساناً بمعنى الكلمة، فقد كتب زميله وصديقه القديم المؤرخ الراحل صالح احمد العلي عن الدكتور الدوري في سجاياه الاصيلة وعمله، وعّده واحدا من ابرز من انجبه العراق في القرن العشرين اذ اشتهر بدفء علاقاته وطيب صداقته وحسن استقباله وكرم ضيافته كما كان انسانا نشيطا ودؤوبا يتميز بدقته وامانته وخصاله العلمية الرائعة (خيون ، 2010، ص23)

كان انسانا له مشاعره المرهفة وله قوة في معتقده وتفقده للاخرين ومن حسن سجاياه محبة كل معارفه وطلبته له كما انه احب وطنه العراق حبا جما، ولم يمض اي يوم من حياته ان لم يذكره بدجلة والفرات ومدينته بغداد (شاهين ، 2010، العدد 131)

وقد حاولت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية كتابة «التاريخ المرجع للأمة العربية» في مطلع التسعينات وقد تألفت لجنة من المؤرخين العرب للإشراف على هذا المشروع برئاسة عبدالعزيز الدوري وقطعت اللجنة شوطاً طويلاً في إعداد البحوث التي غطت ثمانين بالمئة من المشروع الا ان هذا المشروع توقف لأسباب منها وفاة الدوري والذي وافته المنية 11/17/ 2010م عن عمر ناهز واحدا وتسعين عاما، تاركا تراثًا ثقافيا قل نظيره لدى أي مؤرخ عربي من حيث غزارة الإنتاج الثقافي، وتنوعه ، وعلميته (السيد ، 2010 ، ص65)

المبحث الثاني
تعريف الاستشراق

اولا : مفهوم الاستشراق لغة :

ان لفظة (استشراق) مشتقة من مادة (ش ر ق) مصوغة على وزن استفعال ، "وقد أضيف إليها الألف والسين والتاء لتعني طلب الشيء فيصبح المعنى: طلب لغات الشرق وعلومه وأديانه. أو التعرف إلى العالم الشرقي من خلال الدراسات اللغوية والدينية والتاريخية والاجتماعية وغيرها(إدوارد سعيد ، 1981، ص43)

أما إذا نظرنا لكلمة استشراق باللغة الأجنبية وهي Orientalism، فنجد في اللغة اللاتينية أن كلمة "Orientتعني الشرق ، وفي مجمل ما نجد من معاني الكلمة في هذه اللغات أنها تعني جمع المعلومات ببحث أو توجيه وإرشاد، وهو ما يعكس المفهوم للاستشراق عند الغربيين بأنه جمع معلومات عن حضارات الشرق وما صاحبها من علوم ومعارف وأديان بالبحث والاهتمام (محمد قطب، 1999م ، ص98) (نجيب العقيقي ،1980، ص43)

ثانيا : مفهوم الاستشراق اصطلاحا :

أن مصطلح المستشرق Orientalist أى العالم أو الدارس للشرق: لغاته ، أو أديانه ، أو فنونه وحضاراته ؛ قد ظهر لأول مرة في اللغة الإنجليزية عام (1779م) وأن مصطلح الاستشراق

ظهر في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (1838م) غير أن ما يذكره المستشرق الإنجليزي المعاصر مونتجيري واط أن قاموس Oxford أورد: أن كلمة "مستشرق " استخدمت لأول مرة لدارس الشرق عام (1786) بينما كلمة " الاستشراق لم يأت ذكرها في اللغة الإنجليزية حتى عام (1812) ؛والمقابل الفرنسي لهذين المصطلحين ، فقد ظهر قبل ذلك (نجيب العقيقي ،1980، ص43)

إن أقدم استخدام " مكتوب " لمصطلح الاستشراق يمكن العثور عليه في الأدبيات الاستشراقية ورد عند المستشرق الفرنسي البارون De(1758-1838) " Sacy مرتين منذ عام (1810) ، مرة في مقدمة كتابه الشهير "النحو العربي" عندما تحدث المستشرق الفرنسي البارون عن المستشرق الهولندي توماس اربنيوس (1584-1624)ومدى مساهمته في دراسة النحو العربي، ومرة ثانية عندما وصف زملاء له من المستشرقين قاموا بدور هام في دراسة فقه اللغة العربية ونحوها (نذير حمدان ، 1988، ص65)

والمستشرق Orientalist " كما جاء في موسوعة Grand Larousseالفرنسية هو : " العالم المتضلع في معرفة الشرق ولغاته " فهذه الموسوعة الفرنسية المعاصرة ، هي الوحيدة التي ذكرت هذا ويرى (رودي بارت) أن الاستشراق هو " علم يختص بفقه اللغة خاصة ، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة " شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي" (نعمات أحمد فؤاد ، 2001، ص97)

إن مفهوم الاستشراق يعني: «علم الشرق أو علم العالم الشرقي» وهو اتجاهٌ فكريٌّ يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة ، وقد كان مقتصراً في بداية ظهورِهِ على دراسةِ الإسلامِ واللُّغةِ العربيةِ ، ثم اتسعَ ليشملَ دراسةَ الشَّرقِ كُلِّهِ ، بلغاتِهِ وتقاليدِهِ وآدابِهِ ، فالمستشرقون هم علماءُ الغربِ الذين اعتنَوا بدراسةِ الإسلامِ واللُّغةِ العربيةِ ، ولُغات الشَّرقِ وأديانه وآدابه 0 (زقزوق، 1987، ص42)

ثالثا : **نشأة الاستشراق**

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن

الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام عندما بعث الرسول (ρ) رسله إلى الملوك والأمراء خـــارج الجزيرة العربية أو في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة. بينما هنـــاك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإســـلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشـــقي وكتـــــابه الذي حاول فيه أن يوضـــح للنصـــارى كيف يجادلون المسلمين. ويرى آخرون أن الحروب الصـليبية هي بداية الاحتكـــــاك الفعلي بين المسـلمين والنصـارى الأمر الذي دفع النصـــارى إلى محاولة التعرف على المسلمين.

وخلال مجمع فينا الكنسي عام 1312 م تم تأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامانكا 0 ومما يدلُّ على أنَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليَّة باريس براءةٌ للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين تاريخها 1325م يحتم فيها على قاصدهِ هناك بأن يراقب تدريس العربيَّة ولمَّا أكتُشف فنّ الطباعة في أواسط القرن الخامس عشر كان كبير الأحبار يوليوس الثاني أوَّل من سبق إلى طبع كتاب عربيّ ، ووليَهُ أغوسطينوس جوستنياني أسقف نابيو من أعمال كورسكا الذي طبع كتاب الزبور في أربعة لغات منها العربيَّة سنة 1516م، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانية اليسوعية مدرسة للعبرانية وللعربية في رومية علَّم فيها الأب حنَّا إليانو الشهير وأنشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينية كان نقلها إلى العربية منها التعليم المسيحي (حسيب ، 2010 ، ص76)

هذا في جانب إنشاء كراسي لتدريس اللغات الشرقية ، لكن من جانب إنشاء معاهد متخصصة تهتم بالحضارات الشرقية فيفتخر الفرنسيون في مجال الدراسات الشرقية بأنهم أول من أقر كرسيا للغة العربية والتركية والفارسية في الكوليج دو فرانس، وأول من أسس مدرسة وطنية لدراسة اللغات والحضارات الشرقية سنة 1795، وأول من دعا إلى إنشاء هذا المعهد هو لوي إنغكس حينما راسل الجمعية الفرنسية -البرلمان الفرنسي- سنة 1790م من أجل إقناعها بإنشاء معهد للغات والحضارات الشرقية مركزا على أهميته للمصالح الفرنسية الحيوية (شاهين ، 2010 ، ص4)

والاستشراق أول ما ظهر بين الرهبان عندما قامت روما تحاول تنصير العرب ، فأعدت لهم الوعاظ الذين علمتهم العربية ، وانشات مدرسة للدعاية سنة 1627 سبقتها مدرسة لليسوعيين وغيرهم ، وهذه المدرسة أسسها البابا الثامن، وجعلها مركزاً لدراسات اللغات السامية، ثم انشا الكردنيال " بورميو " مكتبة " اميرو زيانا" تحت إشراف الدكتور جيجو(النجار، 2010 ، ص65)

المبحث الثالث
نظرة الدكتور الدوري للاستشراق

ذكر الدوري رايه في الاستشراق فقال : ((إن الاستشراق في الأساس اتصل بالتبشير من جهة، وبالاستعمار من جهة أخرى، وإن كثيراً مما أنتجه جاء في خدمة هذين الاتجاهين . ويأخذ على المستشرقين تطبيق مقاييس ومفاهيم مأخوذة من التاريخ الغربي ، على التاريخ الإسلامي)) (فاضل ، 2021 ، ص22) ويمكن دراسة أثر وتأثر الدوري بموضوع الاستشراق من خلال مياتي :

أ-تأثر الدوري بمدرسة الحوليات الفرنسية

ظهرت مدرسة الحوليات الفرنسية (Ecole des annals) في عام 1929م، رد فعل على (المدرسة المنهجية) التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر نتيجة لهزيمة ألمانيا في حرب السبعين مع بروسيا، وحاولت أعادة النظر في قواعد الدراسة التاريخية التي تبنتها (المدرسة المنهجية) التي اعتمدت على الجانب النظري المتأثر بالمدرسة الألمانية، فاتجه الحوليون للتركيز على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وتغليب التجريبية في الدراسات التاريخية (العلي ، 2000، ص25)

ومن أهم المحاور التي جاءت بها مدرسة الحوليات أن التأريخ يجب أن يكتب بشكل كامل، وان لاتقتصر كتابة التأريخ على الأشكال السياسية والعسكرية .ومن الضروري أن يغطي التأريخ الجوانب الأخرى، لاسيما الاقتصادية والاجتماعية ،التي غالبا ما يتناساها المؤرخون (كسكين ،2011 ،ص34)

عاصر الدوري تطورات سياسية وإقتصادية وفكرية متسارعة منذ بدايات القرن العشرين ، خاصة الوضع المضطرب الذي شهدته القارة الاوربية قبل واثناء الحرب العالمية الثانية واثره الواضح في الاقتصاد الاوربي واتجاه اغلبية الدراسات انذاك الى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وقد كان الدوري يعيش في هذا المحيط ويتفاعل مع هذه التطورات والاعتبارات 0

يعد مارك بلوك (مؤرخ فرنسي 1940م متخصص في العصور الوسطى كان أحد مؤسسي مدرسة الحوليات) (جوردن مارشال ، 2000، ص 287-288)

لوسيان فيفر(مؤرخ فرنسي، اشتهر بدوره في تأسيس مدرسة الحوليات 1902م)

مؤسسين لهذه المدرسة التي مرت عليها أجيال من المؤرخين، وقد طرحت هذه المدرسة مفاهيم جديدة عدة لم تتناولها المدارس التاريخية الأوربية السابقة خاصة فيما يخص التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، مما أدى في النهاية إلى ظهور (التاريخ الجديد) ، المفهوم الذي صاغه المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف في سبعينيات القرن العشرين وطوره العديد من مؤرخي هذه المدرسة (حسان العرفاوي ، العدد 7، السنة 1996م)

لقد امتد تأثير مدرسة الحوليات إلى أغلبية البلدان الأوروبية، ومن ضمنها بريطانيا بطبيعة الحال التي اكمل فيها الدوري دراسته في الدكتوراه وكانت بريطانيا من اول الدول التي استقبلت نتاجات مجلة الحوليات الفرنسية فضلا عن مشاركة عدد من مؤرخيها في هذه المجلة فكان لزيارة المستشرق برنارد لويس إلى باريس واطلاعه على فكر الحوليات تأثير واضح عليه **(القيسي ، 2010 ، ص43)**

وقد نتج عن هذا التأثير كتابة لويس لبحث مهم عن (النقابات الإسلامية) ، إذ جاء هذا البحث منسجماً مع الأفكار التي طرحتها مدرسة الحوليات الفرنسية، ومتأثراً على نحو واضح بالأجواء العلمية والأكاديمية لمرحلتها التاريخية، إذ اعتمد في كتابته على آراء علماء اجتماع بارزين مثل ماكس فيبر وإميل دوركهايم، اللذين كان لأفكارهما تأثيرات كبيرة على رواد مدرسة الحوليات .وقد ترجم الدوري مقال لويس عن النقابات الإسلامية عام 1939م ثم كتب بحثاً بقلمه عن (نشوء الأصناف والحرف في الإسلام) نشره في بغداد عام 1959م ووفقاً لذلك، أصبح الدوري مطلعاً على الأفكار الجديدة من خلال اتصاله المستمر مع أساتذة وطلاب مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية وخاصة في جامعة لندن 1940 – 1942م حين كان يدرس الدوري الدكتوراه على أيدي مجموعة من المستشرقين، وبينهم بعض المتأثرين بفكر الحوليات ، وكان الدوري ينجز اطروحته في الدكتوراه فكانت نتاجا فكريا متميزا (خليل ، 2013 ، ص54)

ونجد ان مؤرخي مدرسة الحوليات اهتموا بتواريخ الأسعار وتطور النظم والتقاليد في الاجتماع والسياسة والفكر، بغية كتابة الحدث في كليته التاريخية بدل النظر إليه من زاوية واحدة فيما تناول الدوري جوانب اقتصادية مشابهة لهم ، كأصناف الحرف والتجارة والتجار والصيارفة والجهابذة والحركات الشعبية ومستوى المعيشة والأسعار والأسواق. ثم يتوسع في كتابه (مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي) ، الذي أصدره في العام 1969م ، الى مواضيع جديدة مثل : الملكيات الزراعية، التجارة وطرق المواصلات ، الضرائب وأنواعها ، الإقطاع وأنواعه 0

ان المتتبع لاعمال الدوري يلاحظ انه جعل من العوامل الاقتصادية والاجتماعية العوامل المؤثرة في صنع السياسة وهذا الامر اتبعه المستشرق كلود كاهن ايضا في كتاباته الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن ان الدوري فسر ظهور الحركات السياسية والاجتماعية في الاسلام بالعامل الاقتصادي 0 وقد تناول كاهن الاقطاع وفرق بين النظامين الإقطاعيين الإسلامي والأوروبي.

وكان الدوري، وزميلته الباحثة آن لامبتون؛ من أوائل من تنبه إلى متغيرات التحول من النظام الخراجي إلى النظام الإقطاعي.ولا شك أنهما أفادا في ذلك من عمل كلود كاهن على مسألة الإقطاع في مجلة الحوليات الفرنسية 0

ركزت الدراسات الاستشراقية الحديثة على الدوافع الاقتصادية وحاولت افراغ الفتوحات من روح الجهاد الذي حمله كل مسلم فهو من وجهة نظرهم تعبير عن عدوانية الانسان العربي ورغبته في الغزو والسلب والنهب بمعنى ان دافع الفتوحات لدى العرب على نحو ما يلخصها برنارد لويس لاتعدو الا ان تكون مرتبطة بدوافع اقتصادية في حين يرجع الدوري انتصار العرب الى فتوة الشعب العربي المسلم وتحفزه واجتماع كلمته فقد استطاع التيار الاسلامي تحويل التيار القبلي الى تيار عام وبذلك نجد التيارات من جهة الاسلامية تقوم بالتوسع لصالح الاسلام وهذا هو سر النصر (جوردن مارشال ، 2000، ص 287- 288)

يعدّ الدوري كتابات الاستشراق عن الفتوحات بمثابة رد فعل على الانتصارات السريعة التي حققها الاسلام ضد الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية[4]، وقد انتقد الدوري بعض الروايات الاستشراقية فيقول : ان كل دراسة تاتي من الخارج لتاريخ امة ما فانما تعبر عن نظرة جانبية يتعذر في الغالب ان يتمثل صاحبها طبيعة تاريخ الامة وروح حضارتها (كسكين ،2011 ،ص34)

لم ينقطع الدوري، عن المشاركة في المؤتمرات الدولية، مطلعاً على ما ينتجه الاستشراق الغربي. فضلا عن قراءته المستمرة لنتاجات المؤرخين المتأثرين بمدرسة الحوليات الفرنسية ، وفي مقدمتهم هنري بيرين وكلود كاهن، أستاذا التاريخ الأوروبي الوسيط والإسلامي البارزين في ذلك الوقت (الجبوري ،2011 ، ص5-37)

ب-علاقة وصلات الدوري بالمستشرقين

درس الدوري في لندن على مجموعة من الاساتذة المعروفين كالبروفيسور مينورسكي الروسي وبرنارد لويس وتريتون وبينز 0 ويذكر سيار الجميل الذي التقى الدوري في بهو كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن صيف عام 1976م ، وان الدوري قد

اعتمد عليه جيل المستشرقين البريطانيين في منتصف القرن العشرين منهم برنارد لويس وهولت وسارجنت وغيرهم في كتابة عدة مقالات علمية في دائرة المعارف الاسلامية في طبعتها الثانية التي صدرت تباعا على امتداد ثلاثين سنة من القرن العشرين (خيون ، 2010 ، ص32)

وقد وصف برنارد لويس الدوري قائلا : انه اصبح حجة في موضوعه بل هو نفسه قد غدا وثيقة تاريخية 0 وهذا ماذكره ايضا الاستاذ سيار الجميل حيث قال : ((جاء ذكر الدوري مرة من المرات أمام المستشرق برنارد لويس وكنا طلبة في بريطانيا وكان لويس يشارك في مائدة علمية مستديرة وكان في معيتي كل من زملائي وهم: ايان ماكلينان وصوفيا برنادوت وكلف هيجارد الذين كنت برفقتهم (نيسان 1981م) في كيمبردج 0 قال لويس بأن الدوري يزيد اليوم كثيرا من توثيقاته من دون حاجة ، ذلك ان المؤرخ بعد ان يبلغ مكانته يصبح هو نفسه وثيقة يعتمد الناس عليها، فلا حاجة الي أن يكسب ثقة قرائه، فآخذت الإذن معقبا عليه: لقد تعلمّنا من تاريخنا بأن نؤدي الأمانات إلي أهلها)) (كسكين ،2011 ،ص34)

اما فلاديمير مينورسكي (1877 – 1966م) الذي يبدو انه اثر في ذهنية الدوري بعد ان درس عليه في البكالوريوس وكان قد اشرف على اطروحته في الدكتوراه وكان مينورسكي متأثر بالمدرسة الالمانية ولم يكن من ضمن المدرسة الماركسية رغم قضائه مدة طويلة في الدراسة في روسيا ثم قام بالتنقل بين دول اوربا الغربية خاصة بين باريس ولندن بعد نجاح الثورة البلشفية عام 1917م فكان على اطلاع دائم على التطورات التي شهدتها كتابة التاريخ في فرنسا (خيون ، 2010 ، ص32)

كانت اطروحة الدوري (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري) نقطة انطلاق مهمة، لا في مسيرته العلمية فحسب، بل في مسار دراسة التاريخ الاقتصادي . وقد ذكر في مقدمة الطبعة الثانية لأطروحته للدكتوراه : «أنه كتبها خلال الأعوام 1940-1942م، وعرّبت عام 1948م، ونشرت ببغداد دون تغيير» وشكر في تصدير الأطروحة أُستاذه المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي المشرف على الرسالة، والأُستاذين برنارد لويس، وهاملتون كب، لاقتراحاتهم المفيدة. وأرخ تصديره في كمبردج أيار 1942م (خليل ، 2013 ؛ ص54)

كان العراق هو مصدر التأثير الأول على الدوري بإرثه الحضاري وخزينه التاريخي 0 أما المصدر الثاني فولد من دراسة التاريخ في بريطانيا في خضم سنوات الحرب العالمية الثانية، بعد زهاء قرن على مساهمات المؤرخين الألمان منذ ليوبولد فون رانكه* (1795 -1886) (مظفر ، 2010 ، ص15)

ان تأثر الدوري باستاذه مينورسكي فاق غيره من الاساتذة بحكم الصحبة والملازمة الطويلة التي ادت الى تطابق بعض الافكار بينهما ويمكن الاستدلال على ذلك عن طريق اطروحته للدكتوراه التي تتفق مع افكار مينورسكي وترمز باتجاه مشاركته في اختيار هذا العنوان وتصوير مفرداته واسست لبعض كتابات الدوري فيما بعد وقد اختصت بالدولة العربية الاسلامية (النجار، 2010 ، ص44)

وهذا وضح أنه أكمل كتابة هذه الأطروحة وعربها ثم نشرها باللغة العربية في وقت كانت (مدرسة الحوليات الفرنسية) في قمة تألقها الفكري والمنهجي وامتداداتها العالمية في أوروبا وخارجها . فأصبح هذا الكتاب بداية تأسيسية ومبكرة لحقل جديد من حقول التاريخ (زقزوق: ، 1987، ص76)

اما بشأن تأثر الدوري بمناهج تلك المدرسة وتبني رؤيتها الاستشراقية فلم يكن كمنقادا لها وتابعا بل حاول الاستفادة من مدة الخمس سنوات التي عاشها هناك من التقدم العلمي الغربي 0

ان الدوري لم يكن سلبيا دائما في مواقفه ضد الكتابات الاستشراقية وغيرها بل استطاع تبني منهجية عالية في الردود والمعارضة والقبول في جميع جوانب دراساته واختط لنفسه منهجا مستقلا في ابحاثه التاريخية وتفسيره للتاريخ العربي الاسلامي وذلك هو منهج المؤرخ الملتزم الحريص على تاريخ وتراث امته التي بقيت هاجسه الدائم (كسكين ،2011 ،ص34)

ان المتتبع لكتابات الدوري التاريخية زمنيا وموضوعيا يجد انه اتفق مع مدرسة الاستشراق ومناهجها طورا واختلف معها اطوارا اخرى في الوقت نفسه ترى انه استطاع ان يقدم صورة جديدة لوقائع التاريخ العربي الاسلامي ورموزه عن طريق الدمج بين اصالة البحث التاريخي التي ترد في مؤلفات المؤرخين العرب القدامى مع ادوات التحليل والبحث الاكاديمي التي استقاها من الغرب (الجبوري، 1997، ص85)

اثناء تواجد الدوري في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية كان هناك نخبة من الاساتذة البارزين والمختصين في مقدمتهم المستشرق الانكليزي هاملتون كب الذي كان مطلعا على بعض مؤلفاته التاريخية ووصف بعضها بالموضوعية الجيدة في حين اختلف معه في كتابات اخرى على نحو ماكتبه كب عن الاتجاهات الحديثة في الاسلام وكتاب

المحمدية او اسلام المحمديين (العقيقي، 1980،ص32)

ويبدو ان الدوري قد تأثر بكتابات المستشرقين حول الرسول(ρ) فقام باعداد دراسة في سيرة النبي (ρ) ومؤلفها ابن إسحق (بغداد ، 1965م) وقد قدم مقدمة موجزة، ألقى فيها الضوء على ترجمة ابن إسحق في تراث المستشرقين(زقزوق: ، 1987، ص76)

إن تتبع كتابات الدوري توضح تأكيده على علاقة (التاريخ بالحاضر). ففي مقالة نشرها في بغداد في عام 1962م عن «التاريخ والحاضر»، أكد الدوري قولاً مشهوراً للمؤرخ الإيطالي كروتشه يشير إلى أن «التاريخ كله تاريخ معاصر»، وقد فسر الدوري هذا القول بأن «التاريخ يتكون في الأساس من رؤية الماضي بمنظار الحاضر وفي ضوء مشاكله، وإن عمل المؤرخ الرئيس لن يكون التسجيل، بل التقدير، ولذا ففهم أي تاريخ يتطلب فهم المؤرخ واتجاهاته ونظراته» (محمد قطب: ، 1999م، ص75)

وعلى خطى هنري بيرين ومارك بلوك ولوسيان فيفر، رواد مدرسة الحوليات، أخذ الدوري في رؤية التاريخ بوصفه سياقا متصلاً، تحركه قوى أعمق وأقل عرضة للتغيير والانقطاع من الظواهر السياسية: «إن التأريخ أبعد إدراكاً من وعي وإرادة الفاعلين في مجرياته. وربما كانت بداياته في التاريخ الاقتصادي عوناً كبيراً في تعزيز رؤيته الأوسع والأعمق للتاريخ، التي ستصبغ أعماله المنشورة كافة بعد ذلك» (إدوارد سعيد: ، 1981، ص42)

من كل ذلك يمكن القول ان الدوري كان متاثرا ومؤثرا بذات الوقت بالمستشرقين حيث لايمكن الجزم انه كان تابعا للرؤية الاستشراقية في كل نقاط ضعفها واعتدالها وربما غلوها فقد عبرت كتاباته عن حقيقة ان الحضارة العربية الاسلامية بكل جوانبها هي اصيلة وخالدة مهما تمادت بعض الاقلام الاستشراقية بدس السم في العسل كما يقولون وابدت شكوكها واتهاماتها بما يخص هذه الحضارة0

وقد حاول الدوري تقديم تفسير موسع لرؤيته للماضي بمنظور الحاضر، كما تصوره المستشرق الايطالي كروتشه، الذي يرى التاريخ «هو بعث للتجارب الماضية في ذهن المؤرخ »، وهو مبدأ افصح عنه الدوري بقوله : «كل التاريخ تاريخ معاصر، فالحوادث التي يدرسها المؤرخ، وإن حدثت في ماضٍ بعيد، فإن شرط معرفتها تاريخياً هو في أن تتمثل في ذهن المؤرخ، والمؤرخ حين ينتقد ويفسر الوثائق والبينات أمامه أن يعيش من جديد حالات الذهن التي يدرسها» (مظفر ، 2010 ، ص15)

يرى الدوري أن تفسير كروتشه للتاريخ ذرائعي، لأنه يعني أن الماضي ميت إلا حين يتحد باهتمامات الحياة الحاضرة. ويعود الدوري لكروتشه مقتبساً إذا كان التاريخ المعاصر يصدر عن الحياة مباشرة، فكذلك شأن التاريخ الذي يسمى غير معاصر، إذ من الواضح أنه بحياة الحاضر وحده يستطيع دفعي إلى بحث الحقيقة الماضية. فالحقيقة الماضية لا تجيب؟ اهتماماً ماضياً، بل تستجيب لحقيقة حاضرة بقدر تمثلها باهتمام في الحياة الحاضرة. ويتخذ هذا للتمييز بين التاريخ History والأخبار Chronicles، فكل تاريخ يصبح أخباراً حين يرويه شخص لايستطيع أن يعيش تجربة أشخاصه. فالتاريخ هو الأخبار الحية، والخبر هو التاريخ الميت. التاريخ من حيث المبدأ عمل فكر، والخبر عمل الإرادة. وكل تاريخ يصبح خبراً حين لا يمكن أن يكون موضع تفكير، بل مجرد سجل في ألفاظ كانت فيما مضى واقعية ومعبرة. فالروح هي التاريخ، صانعة التاريخ في كل لحظة من وجوده، وكذا نتيجة التاريخ الماضي كله (العقيقي، 1980،ص32)

يرى الدوري ان البحث التاريخي العلمي يوجب التجرد المطلق وتوخي الدقة والعلم وهذا التفسير يقترب من فكر مدرسة الحوليات الفرنسية نجده يقترب كثيراً من تفسيرهم للماضي بمنظار الحاضر. فهذا مارك بلوك، أحد مؤسسي المدرسة، يقدم رؤية متفقة مع ما يطرحه الدوري في أربعينيات القرن العشرين. فيشير في كتابه (حرفة المؤرخ) إلى «فهم الحاضر من خلال الماضي وفهم الماضي من خلال الحاضر». ويحاول بلوك تقديم مقاربات بين الماضي والحاضر ، والتساؤل دائماً عن «فائدة التاريخ» لاسيما في الظروف الصعبة التي كان يمر بها وهو أسير لدى القوات النازية المحتلة لفرنسا (نذير حمدان ، 1988، ص65)

بطبيعة الحال كانت هناك معاناة كبيرة في إقناع مؤرخي وأنصار المدرسة التقليدية أمثال سينيبوس ولافيس بإعادة كتابة التأريخ على أسس وأفكار جديدة كليا عن تلك المتبعة من قبل. لكن كتاب لوسيان فيفر (معارك من اجل التأريخ) احدث ثورة في مفهوم كتابة التأريخ وأصبح مرجعا يقتدي به أنصار مدرسة الحوليات. أراد فيفر في هذا الكتاب إيقاظ كسل وإهمال المؤرخين للتاريخ الشامل،أي للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي.

ان الشيء الجديد والمهم التي جاءت به هذه المدرسة هو هدم الجدران التي تفصل ما بين العلوم الاجتماعية، التأريخ، الجغرافية، الاجتماع والاقتصاد بحيث لا يكون المؤرخ حبيس الأحداث السردية فحسب، بل عليه ان يتناول كافة الابعاد الاخرى ،التي

غالبا ما تتوارى خلف الأحداث الكبرى كالحروب أو الشخصيات المعروفة ،التي كان يسميها فيرنان برودل، احد مؤرخي الحوليات، بأنصاف الآلهة (العلي ، 2000، ص25)

. الخاتمة

نخلص من هذا ان الدوري مؤرخ كبير حاول الإفادة من التقدم العلمي الغربي دون التورط في التبعية الثقافية للغرب محافظاً على أصالته واستقلاليته في أبحاثه التاريخية، وفي تفسيره للتاريخ العربي والإسلامي عن المستشرقين والمؤرخين الغربيين، «واضعاً محصّلة علمه في خدمة الأمة العربية» كما يقول خيرالدين حسيب ولكن من دون أن ينسى بالطبع أساتذته الغربيين كمينورسكي مثلاً وفضلهم الأكاديمي وتوجيههم العلمي له وبذلك شق طريقاً جديداً لم يسلكه إلاّ قلة من المؤرخين والمفكرين العرب المحدثين .

. المراجع

(1)الجبوري ، عبدالله ، الدكتور عبد العزيز الدوري مؤرخ الحضارة الاسلامية ، المجمع العلمي العراقي ،2011 ، ص5-37 ؛

(2)خليل ، عدنان عبدالكريم ، عبد ألعزيز الدوري رؤية ومنهجية جديدة في كتابه التاريخ العربي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، كلية التربية ، 2013 ؛

(3)فاضل ، جهاد ، عبدالعزيز الدوري وتاريخ العرب ، جريدة الرياض ، العدد 15912 ، 2012

(4)العلاف ، ابراهيم خليل ، عبد العزيز الدوري وريادة المدرسة التاريخية العربية المعاصرة موقع الحوار المتمدن العدد 2619 ، 2009

(5)الجميل ، سيار ، عبد العزيز الدوري شيخ المؤرخين المتميّز: شاهد البدائل الصعبة ، جريدة ايلاف ، العدد 4534 ، لندن ، 2010 ؛

(6)شاهين ، محمد علي ، عبد العزيز بن عبد الكريم بن طه الدوري ، مجلة الغرباء ، العدد 131 ، السنة 11 ، لندن ، 2010 ؛

(6)خيون ، رشيد ، المؤرخ عبد العزيز الدوري : يكفيه كتابه تاريخ العراق الاقتصادي ، موقع كتّاب العراق ، 2010 ؛

(7)السيد ، رضوان ، عبد العزيز الدوري ودراسات التاريخ الإسلامي ، موقع السراج الاخباري ، 2010 ؛

(8)مظفر ، مي ، عبدالعزيز الدوري تاريخ أمة في امتدادها الحضاري موقع كتابّ العراق ، 2010 ، ص2

(9)كسكين ، محمد شادي ، شيخ المؤرخين العرب عبدالعزيز الدوري ، ملتقى الادباء والمبدعين العرب ، 2010 ، ص2 ؛

(10)حسيب ، خير الدين ، في وداع عبدالعزيز الدوري ، صحيفة التجديد العربي ، 2010 ، ص2 0

(11)العلي ، صالح احمد ومجموعة من الباحثين ، عبدالعزيز الدوري انسانا ومؤرخا ومفكرا ، مؤسسة عبدالحميد شومان ، عمان ، 2000، ص25 0

(12)القيسي ، محمود عبد الواحد القيسي ، التيارات الفكرية الجديدة والمؤرخين العراقيين الرواد :هل تأثر الدوري «بمدرسة الحوليات الفرنسية» بحث ضمن وقائع الندوة العلمية التي عقدها قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة ، 2010 ، ص1

(13)حميد ياسين ناصر ، إعادة كتابة التأريخ بحث على الانترنيت: مدرسة الحوليات الفرنسية أنموذجاً ، ص1

(14)سامي أحمد الزهو ، اتجاهات الاستشراق الأمريكي والتأريخ الإسلامي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية-جامعة الموصل، 2010 ص 32 – 35

(15)انظر ترجمة الدوري لبحث لويس عن (النقابات الإسلامية) في: برنارد لويس، «النقابات الإسلامية»، ترجمة عبد العزيز الدوري، مجلة الرسالة، 1939م

(16)إدوارد سعيد: الإستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، نقله إلى العربية كمال أبو ديب، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981،

(17)محمد قطب: المستشرقون والإسلام، القاهرة، دار وهبة، 1999م.

(18)محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصوّرات الغرب، القاهرة، مكتبة وهبة، 1987.

(19)محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، ع 5، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، 1404هـ.

(20)نجيب العقيقي: المستشرقون: موسوعة في التراث العربي، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم منذ ألف عام، القاهرة، دار المعارف، 1980.

(21)نذير حمدان: مستشرقون: سياسيون -جامعيون - مجمعيون، الطائف، مكتبة الصديق، 1988.

(22)نعمات أحمد فؤاد: الإسلام في رأي الشرق والغرب، الجيزة، المكتبة الأكاديمية، 2001.

(23)يحيى وهيب الجبوري: المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.

(24)يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العاشر

المستخلص باللغة الانكليزية

Al -Douri is the first socio -economic history of special importance, and he presented distinguished studies in criticizing the Orientalist approach in the view of Arab history, so the presence of social historians in the West was thick, but their absence from the Arab scene was very reckless. The league was at the forefront of the Arab historians who decided to face the statements of Western Orientalism with scientific concepts with global presence, and not with traditional concepts under a deceptive curtain of originality, as he proved a distinguished ability to possess the scientific method in historical and economic studies 0